جانب من فعاليات محب الدين الخطيب

(الجانب الصحفي)

د. سهيلة الريماوي
الجامعة الأردنيـــة

المقدمـــة :

محب الدين الخطيب (١٨٨٦ – ١٩٧٩) : من أوائل رواد الحركة القومية العربية الذين نسعى لاحياء نضالهم وتراثهم ، وشخصية متعددة الجوانب لها الجانب الفكري، والجانب الصحافي والجانب الادبـي ، والجانب الديني والجانب السياســي بصفتيه النضالية والتنظيمية . وقد ترك لنا مكتبة تضم زهاء خمسة وعشــرين الف كتاب في مائة الف مجلد(١) وعددا كبيرا من الوثائق والاوراق والمخطوطات غير مصنفة ، ومنهـا مذكراته الشخصية « سيرة جيل » التي تظهر فيها معالم شخصيته(٢) .

أردنا من هذه المقدمة التأكيد أن دراسة شاملة لحياة محب الدين الخطيب من جوانبها المتعددة ، هي في الواقع دراسة دقيقة للنضال العربي ومسيرته طوال أكثر من نصف قرن ، وهذا الكنز الوثائقي الذي تضمه مكتبته يعد سـجلا أمينا غنيا ونــادرا للنضال العربي منذ مطلع القرن العشرين ، مما يجعله من أهم مصادر تاريخ الحركة القوميـــة (٣) .

شــخصيته :

هو ابن الشيخ ابي الفتح الخطيب من علماء دمشق ومدرسيها وائمتها وخطبائها، ولد في دمشق الفيحاء ، أواخر شهر تموز / يوليو سنة ١٨٨٦ وتوفي في القاهرة أواخر كانون أول / ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، بدأ تعليمه في مدرسة الترقي النموذجية « نمونة ترقي » ، وكانت في البناء الكبير الذي تقوم في الجانب القبلي منه دار الكتب الظاهرية التي كان والده يتولى أمانتها(٤) منذ انشائها سنة ١٨٧٩ حتى وفاته سنة ١٨٩٧ .وقد حصل محب الدين من هذه المدرسة على شهادة اتمام الدراســة الابتدائية بدرجــة « علي أعلي » أي جيد جدا ، مؤرخة في ٢٣ محرم سنة ١٣١٤ هـ الموافق ٥ تموز/يوليو ســنة ١٨٩٦ . ثم التحق بالتعليم الثانوي في « مكتب عنبر »(٥) في دمشق ، غير أن وفاة والده في العام نفسه اضطرته الى ترك الدراسة ، وألحقه الشيخ طاهر الجزائري

صديق والده بدار الكتب « فوجه وظيفة الوالد الى ابنه » وصار الشيخ طاهر يختار من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ما الف عن أعلام الاسلام ، ويكلف محب الدين الخطيب نسخها ، وتوجد حتى الآن في الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية رسائل بخط محب الدين الخطيب ، يعود تاريخها الى هذه الفترة(٦) .

التحق الخطيب مرة ثانية بالمدرسة الثانوية « مكتب عنبر » ثم انتقل الى بيروت فأكمل تعليمه الثانوي فيها وحصل على شهادته بتاريخ ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣هـ الموافق ٩ تموز سنة ١٩٠٥م بدرجة « أعلى » أي جيد ، التحق بعدها بكليتي الآداب والحقوق معا في استانبول . الا أن ظروفه اقتضت أن يترك استانبول الى دمشق ، ومنها الى الحديدة في اليمن ، وهناك تبلورت فكرة العمل الصحفي عنده كما سنرى(٧) .

ان الاحداث السياسية المتعاقبة في هذه الفترة ، وفي مقدمتها اعادة المشروطية (الدستور) سنة ١٩٠٨ ، اقتضت أن يعود الخطيب الى دمشق ، ثم الى القاهرة ، حيث ظهر نشاطه من خلال الاحزاب والجمعيات التي انتسب اليها أو أسسها مع غيره من السوريين ، كما قام بعدد من المهمات السياسية والحزبية ،في اليمن ونجد والعراق وباريس ، وهي على الرغم من أهميتها تخرج عن نطاق بحثنا(٨) والتحق في هذه الفترة بقلم تحرير عدد من الصحف المصرية ، فساهم في تحرير جريدة « المؤيد » ، من أول شهر أيلول سنة ١٩٠٩ الى ما بعد وفاة الشيخ علي يوسف سنة ١٩١٣* ، وفي هذه الاثناء ، أسس المكتبة السلفية .. وعندما أعلنت الثورة العربية الكبرى ، توجه الى الحجاز ، وأصبح رئيس تحرير جريدة القبلة ، ثم توجه الى دمشق أيام الحكم العربي الفيصلي ، وأشرف على تحرير جريدة العاصمة الرسمية ، وغادر سورية الى مصر بعد معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ ، فالتحق بقلم تحرير الاهرام من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٥ ، وبقي رئيس تحرير مجلة الازهر مدة خمس سنوات ، كما ساهم في تحرير جريدة الاخوان المسلمين اليومية ، وكان يرأس فيها تحرير القسم الاسلامي ، كما كتب في كثير من المجلات مثل المقتطف ، والتمدن الاسلامي ، ومجلة « المسلمون » وكان يرأس تحريرها سعيد رمضان ، كما أصدر عددا من الصحف في مصر ، مثل مجلة الزهراء ، ومجلة الفتح التي نالت شهرة صحفية مميزة بين صحافة تلك الفترة ، هذا بالاضافة الى ما يقوم به من تحرير بيانات الجمعيات التي انتسب اليها ، أو كتابة نداءاتها وصحفها ـ وكان يشغل فيها منصب أمين السر ـ وكان يتمتع بين الاعضاء بقدرته

(*) الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد المصرية ، في طليعة الصحفيين ويعتبره محب الدين الخطيب استاذه في الصحافة وقد توفي بتاريخ ٢٥ تشرين اول اكتوبر سنة ١٩١٣ .

العجيبة على نقل الخبر الصحيح ، عندما يتولى نشر أخبار هذه الجمعيات والاحزاب أو كتابة منشوراتها* .

هذا الوضع المميز لنشاط محب الدين الخطيب الصحافي ، جعل من بيته مركز استقبال وارسال وتجمع ، لعدد كبير من الصحف ، والاوراق الصحفية التي تحفل بها مكتبته ، سواء أكانت أوراق الصحف التي أصدرها أو ساهم في تحريرها ، أو الاوراق والقصاصات الصحفية المتفرقة التي تدور حول مواضيع متعددة . وكثيرا ما كتب محب الدين على هامش هذه الصحف والقصاصات شارحا ومعلقا ومحللا . وكان يحتفظ بعدد من المراسلات الصحفية المتبادلة والبرقيات التي كانت ترد الى الصحف، كما كان يحتفظ بعدد من المسودات التي نشرت في هذه الصحف ، بعد التعليق عليها سواء أكانت له أم لغيره من الكتاب الصحافيين .

البدايات الاولية :

وتدلنا هذه التعليقات الهامشية على الصحف ، الموجودة في مكتبة الخطيب على أن : « باكورة القلم » كانت في « تمرين قلمه » على ترجمة مقالات علمية وقطع أدبية « يعربها عن اللغة التركية في مجلاتها وكتبها » . وقد أخذ يرسل ما يترجمه الى جريدة « ثمرات الفنون » وكان يوقع هذه الكتابات الاولية بحرفي (م . خ) ثم بعد انتشارها أخذ يوقع باسمه الصريح(٩) .

ان أنشطة محب الدين الخطيب في دمشق ، وتأسيسه حلقة دمشق الصغرى أسوة بحلقة دمشق الكبرى(١٠) واختلاطه بكبار علماء دمشق عن طريق هذه الحلقة ، ثم اطلاعه على المجلات المصرية الكبرى مثل المقتطف والهلال والضياء في غرف القراءة التي أسستها جمعية القديس يوحنا الدمشقي الارثوذكسية(١١) ، بالاضافة الى مطالعاته المتواصلة في دار الكتب الظاهرية كما أشرت سابقا .. كل ذلك ، مهد له وضوح الرؤية لقضايا عصره ، العرب والعربية ، ورسالة العرب الخالدة ، وضرورة الاصلاح في الدولة العثمانية ومقاومة الاستبداد ، واللا مركزية ، ومعالجة الاوضاع الاقتصادية في الامبراطورية ، والدعوة لتأييد الثورة العربية الكبرى ، ثم تأييد الحكم العربي الهاشمي في سورية ، هذا بالاضافة الى المواضيع الدينية التي تبحث في قضايا الاسلام والمسلمين مثل : مزايا الصحابة والتابعين وحملهم لرسالة الاسلام ، وتعريف الانسانية بالاسلام الاول ، وتكوين العالم الاسلامي .. وهكذا وجد الخطيب في الصحافة ميدانا فسيحا للتعبير عن آرائه هذه منذ الصغر وكان « همه وهو في فترة الدراسة

---

* مقابلة شخصية في القاهرة مع عوني عبد الهادي١٩٦٦ .

الثانوية ، تعريف الاذكياء من أترابه ولداته في المدرسة وخارجها بهذه الرسالة العربية والاسلامية »(١٢) عن طريق نشرها في نشرات مدرسية خاصة ، ثم نشرها في صحف عامة أو مجلات معروفة ..

وتدل مذكرات الخطيب وأوراقه على مدى تأثره بكتابات الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي والشيخ رشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي وغيرهم ، الذين اتخذوا الصحافة ميدانا للتعبير عن آرائهم الفكرية والسياسية والدينية .. الخ فوجه الخطيب نظره الى الجمعيات السياسية وتأسيسها ، ونحو المطالعات الصحفية ثم الكتابة في هذه الصحف ، وترجمة المقالات الصحفية المفيدة(١٣)، وأدرك الخطيب دور الصحافة وقوة تأثيرها في المجتمع منذ الصغر ، وبقي هذا الرأي يكبر معه ، وعبر عنه في أكثر من مقالة صحفية في مجلتي الفتح والازهر وغيرهما كما سنرى .

وعندما اضطرته الدراسة للاتجاه نحو الاستانة ، وجد أبناء العرب ، من سورية وفلسطين والعراق والحجاز وغيرها ، يجهلون قواعد اللغة العربية وآدابها وثقافتها ، « قرر أن يتصل بصديقه محمد كرد علي ، وكان قد انتقل من دمشق الى مصر »(١٤)، وطلب منه أن يوافيه بجميع ما ينتهي من قراءته من الصحف المصرية ، وما يصل اليه من صحف سورية والمهجر ، ليقرأها وأترابه ، «وليستعين بذلك على تحويل من يتصل بهم من شباب العرب في استانبول عن التتريك » وليشعرهم بأن في دنيا العرب آدابا وصحافة وبيانا وشعرا قويا ، وأن في « الدنيا » وفي « اللسان الانساني » شيئا اسمه: « عرب وعربية وعروبة » وأن « الانسانية لا تسعد الا اذا بعثت العروبة من مرقدها وتجدد شباب الاسلام »(١٥) .

وقد كان محب الدين الخطيب يجتمع بزملائه في غرفتين للمطالعة ، أسسهما في استانبول مع الامير عارف الشهابي(١٦) والاعضاء الذين انتسبوا لجمعية النهضة العربية ، ويقرؤون الصحف التي تصلهم ، وقطع مختارة من الكتب العربية ، وأبيات مختارة من الشعر العربي، فكان استدراج هؤلاء الشبان ،وترغيبهم في مطالعة الصحف والمطبوعات العربية خطوة أولى لرجوعهم الى أنفسهم وعروبتهم ، وحبهم اللغة العربية . وقد اتجه أكثرهم نحو الصحف والصحافة والعمل السياسي فيما بعد ،وهي في نظر الخطيب هي « القوة الاولى التي يمكنها أن تقف في وجه التيار تدفعه وتغير مجراه »* .

---

* لقد كرر الخطيب في مجلتي الفتح منذ ١٣٥٢والازهر ، في أكثر من عدد قوله : « الصحافة قوة عظيمة لا شك في ذلك » .

المحاولات الاولية لتأسيس جريدة :

لم تكن محاولة الخطيب الاولى لاصدار جريدة في بلاد الشام كما كان يتوقع ، فان الظروف السياسية التي قادته الى اليمن(١٧) جعلت هذه المبادرة الصحفية في ذلك البلد ، فقد شعر الخطيب أن مدينة الحديدة بل وسائر بلاد اليمن بحاجة ماسة الى وجود مطبعة وصحيفة ، تسهما في نهضة فكرية وثقافية في المنطقة ، فبدأ بمفاوضة أصدقائه من العسكريين والمدنيين والاعيان والتجار لتأسيس شركة لهذا الفرض ، يكون ثمن السهم فيها جنيها استرلينيا واحدا « ذهبا » . وقد وافق عدد كبير على تحقيق هذا الامر على أن يكون اسم المطبعة « مطبعة جزيرة العرب » وأن تصدر عنها صحيفة باسم : « جزيرة العرب » أيضا .

وقد كتب محب الدين الخطيب وأصدقاؤه الى بعض سفارات وقنصليات الدولة العثمانية في البلاد الاوربية التي عرفت بصناعة آلات الطباعة مثل برلين وغيرها يطلب ارسال نماذجها الى الحديدة لانتقاء « ما يوافق الحال فيها » . ووصلت الاجهزة الى الحديدة ، ولكن قبل الدخول في دور التنفيذ ، تلقى محب الدين من دمشق رسائل تلح عليه بضرورة العودة لاصدار صحيفة باسم : « النهضة العربية » ، فتوقف مشروع المطبعة والجريدة في الحديدة(١٨) ، كما توقف فيما بعد تنفيذ اصدار جريدة النهضة العربية لاسباب سياسية تتعلق بسياسة الاتحاديين تجاه الاسماء ذات الطابع القومي، لأن كلمة « عربية » لم تكن مرغوبا فيها في الدولة العثمانية حسب المادة الرابعة من الدستور(١٩) .

الصحافة الهزلية : طار الخرج*

لم ييأس الخطيب من محاولة اصدار جريدة تعبر عن آرائه وأفكاره ، ولكن ذلك تأخر فعمل محررا في بعض الصحف ، ولعل الصدف هي التي وجهته نحو نوع من الصحافة لم يفكر فيه على الاطلاق . فقد كان في زيارة دار جريدة « القبس » اليومية التي كان يصدرها في دمشق الاستاذ محمد كرد علي ، وكان عدد اليوم التالي لما يتم اعداده ، فطلب كرد علي من محب الدين أن يحل محله في اصدار العدد ، فوعده خيرا ، وفي أثناء هذه المهمة ، حضر عمال الجريدة ومطابعها واطلعوا الخطيب على رسوم لجريدة فكاهية يريدون اصدار عدد منها على أن يكتب لهم محب الدين هذا العدد « باللغة العامية » ، أو بها وبالفصحى معا ، وأن يكون عددا نادرا « ليروج بسرعة » .

* لم تحدد المذكرات تاريخ صدور هذا العدد ولكن يفهم من سياق الاحداث انه صدر في أواخر ١٩٠٨ على الارجح .

يخبرنا الخطيب كيف انه : « لم يترك شيئا في نفسه الا وعبَّر عنه ووضعه في تلك الجريدة الصغيرة . . » بالعامية والفصحى عند اللزوم « وبقي مع العمال يؤدي لهم هذه المهمة ، فجاءت كل فقرة نقدا مرا لأمور واقعية »(١٩) .

وكان اسم الجريدة الذي اختاره العمال هو « طار الخرج »(٢١) وقد كتب محب الدين الخطيب مواد العدد الاول قطعة قطعة ، والعمال يجمعون حروف ما يكتب لهم بسرعة ، ثم أخذوا بطبع العدد ، فصدر في اليوم الثاني كنوع جديد من الصحافة هي (الصحافة الفكاهية) الانتقادية . ولاقت نجاحا جماهيريا كبيرا حتى كان العدد يباع بأضعاف ثمنه . وعندما حاولت الحكومة البحث عن الجريدة وكاتبها وطابعها ، باءت جهودها بالفشل لأن ذلك غير مذكور في الجريدة المطبوعة(٢٢) .

ان هذه التجربة في صحيفة (طار الخرج) نبهت الانظار الى موهبة محب الدين الخطيب الصحفية ، من حيث سيطرته على الخبر ونقله الى الجماهير ومخاطبتهم كل حسب موقعه ، سواء في ذلك الموقع الجغرافي ، أو الموقع الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي(٢٢) ، ومنذ الوهلة الاولى لصدور هذه الصحيفة الهزلية ، استطاع أن يوضح المعنى الذي يريده في الخبر المنقول للجمهور ، وأن يستقطب القراء لما يكتبه في هذه الجريدة . وكانت السلطة تلاحقه دون جدوى واستمرت تلك الملاحقة الى ما بعد سنة ١٩٠٩ ، أي بعد الانقلاب المضاد في الدولة العثمانية ، لمحاكمته بعد أن صدر في هذه السنة ، قانون الصحافة الثاني(٢٣) . وضاعفت من رقابة (المكتوبجي) في تلك الفترة بشكل واضح ونتيجة لذلك اقترح عليه اخوانه التوجه الى مصر بعيدا عن أنظار السلطة في استانبول ودمشق ، فوصلها في النصف الثاني من شهر آب / أغسطس سنة ١٩٠٩ .

النشاط الصحفي من ١٩٠٩ – ١٩٢٠ :

تصعب متابعة نشاط محب الدين الخطيب في الصحافة قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها حتى سنة ١٩٢٠ ، لوفرة هذا النشاط ، ولكنه يمكننا القول ان الاتجاه العام لمقالاته الصحفية في هذه الفترة ينبع من منطلقات العصر وسماته على الشكل التالي :

أولا : من سنة ١٩٠٩ – ١٩١٤ وهي فترة تسلط الاتحاديين :

وتبدأ بالتحديات التي اتبعها الاتحاديون ضد العرب : فقد وعى الخطيب منذ وقت مبكر أن التناقضات القائمة في الامبراطورية العثمانية تقتضي ايجاد حلول لها في داخل الامبراطورية نفسها سواء أكانت هذه التناقضات تتصل بنظام الحكم نفسه، مثل قضية الاستبداد والشورى واللامركزية ، أم تلك التي تتصل بحقوق القوميات

التي تتألف منها هذه الامبراطورية ، من حيث مشاركتها في الحكم أو مدى ممارســتها لحقوقها القوميـــة . .

وقد زاد في تطور هذا الوعي القومي عند الخطيب وأمثاله ، سياسة التتريك ، ومطاردة الرواد الاوائل وهجرتهم الى مصر ، ثم جاء ضياع طرابلس الغرب ليفجـر الموقف العربي في مواجهة الاتراك ، فعقد المؤتمر العربـي الاول في باريس سنة ١٩١٣ وركز الخطيب مقالاته حـول تحقيق بنود هـذا المؤتمر وفي مقدمتها : فتـح المدارس والتعليم باللغة العربية ثم تطبيق اللا مركزية الادارية ، وحقوق أبناء القوميات في استلام وظائف الدولة أسوة بالاتراك ... وكانت هذه المقالات الصحفية ذات اتجاه اصلاحي – قومي في غالبيتها ، وظهرت في جريدة المؤيد بالدرجة الاولى .

ثانيا : من سنة ١٩١٦ الى ١٩١٨ فترة الثورة العربية الكبرى :

ركز الخطيب في صحافة الثورة علـى بعدين اساسيين قامت الثورة مـن اجل تحقيقهما وهما : البعد « الاسلامي » ، والبعد « القومي – العربي » ، وكانت جريدة القبلة جريدة الثورة ، هي الساحة التي انطلق منها الخطيب مبينا أن : بالاسلام كـان دور العرب الكبير في التاريخ ، وبالعرب كان عز الاسلام وقيام دولة وحضارة . هذا الاتجاه يمكن أن نطلق عليه اسم الاتجاه « الديني – القومي » ، بالاضافة الى تركيـزه على « مثالب الترك » مثل قضية التتريك وغيرها ...

ثالثا : من ١٩١٨ – ١٩٢٠ وهي فترة الحكم العربي الفيصلي :

عمل الخطيب محررا لجريدة العاصمة « الجريدة الرســمية » وكان اتجاهــه الصحفي يعكس وجهات نظر هذه الدولة العربية الرائدة التي تدعو للتحديث والمعاصرة، فتطرق الى مواضيع جديدة هي من سمات الدول الحديثة مثل : المواضيع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وكتب في قضايا الاقتصاد الوطني وافتتاح المصارف الوطنية، وكذلك افتتاح المدارس العربية لمواجهة المدارس البشرية ، وتطرق الى قضايا العمـال والفلاحين ، والتنظيمات الشعبية وغيرها ... كما ســجل أهم أحداث هذه الفتـرة العربيـــة .

١ – جريدة المؤيـد :

لعبت جريدة المؤيد دورا بارزا في حياة الخطيب الصحفية ، اذ انضم الى أسرة تحريرها في مصر منذ الايام الاولى لوصوله سنة ١٩٠٩ ، وكان تيمور باشا مساهما في شركة جريدة المؤيد التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف ، وتم الاتفاق على أن يلتحق بقلم تحريرها من الصباح الى الساعة الواحدة ظهرا ، ليتفرغ بعد ذلك للاشراف على

المكتبة السلفية التي أسسها في مصر أيضا منذ الايام الاولى لوصوله(٢٥) . والمؤيد من أوائل الصحف التي وقفت ضد الاحتلال البريطاني منذ صدورها ١٨٨٩ وقد كتب فيها كبار رجال السياسة والفكر ، مثل الكواكبي والشيخ محمد عبده ، وكرد علي والزهراوي والمنفلوطي وغيرهم ... وامتلكها في بادىء الامر الشيخ على يوسف والشيخ أحمد ماضي ، ثم آلت الى علي يوسف عام ١٨٩١(٢٦) ، وبقي محب الدين الخطيب محررا في هذه الجريدة من أول أيلول / سبتمبر سنة ١٩٠٩ الى ما بعد وفاة الشيخ علي يوسف سنة ١٩١٣ ، ونال ثقة الشيخ وقراء الجريدة في فترة وجيزة ويعد محب الدين الخطيب الشيخ علي يوسف « أستاذه الاول في الصحافة المصرية » ، كما يعد صحيفة المؤيد المدرسة الاولى التي تعلم فيها فنون الصحافة ، (وقد كرر هذا المعنى عدة مرات في « سيرة جيل » وفي مجلتي الفتح والزهراء) .

وتنبع قيمة المقالات التي كتبها الخطيب في المؤيد ، من أنها نداءات قومية مستمدة من المبادىء التي نشرها في تنظيمه السياسي الاول وهو :« جمعية النهضة العربية »(٢٧) وكان يرد على كل شعوبي يدعي بأن القومية لم تعرف الا عن طريق الدول الاوربية وسفاراتها أو قنصلياتها في البلاد العربية ، وقد لفت اليه الانظار بحماسته في المناقشة وبموهبته الحقيقية في الجدل ، وبتركيزه على مواضيع الساعة ، وفي هذه الفترة التي شهدت كتاباته في المؤيد ، ازداد غلو جماعة الاتحاد والترقي في الدعوة الى الجامعة الطورانية والى «العصبية التركية» فأخذ الخطيب يشير الى هذا الاتجاه نحو التتريك، ووجد فيه مجالا واسعا لنشر عدة مقالات صحفية حول الموضوع ، نقلها الى جمهور القراء بعد تبسيط معنى « التتريك » وشرحه ، وقد عرض المشكلة بطريقة تتفق وقدرة الجماهير على الفهم والاستيعاب . ومما ذكره الخطيب مفسرا : ان المحرر الذي لا يفهم مضمون الخبر أو الحدث وتفاصيله لا يستطيع نقله وايصاله الى جماهير القراء*. ويمكن القول ان مقالات الخطيب في المؤيد كان لها الاثر الكبير في نشر فكر الحركة العربية وتشجيعها في مواجهة الحركة الطورانية خاصة في سورية والعراق ثم في سائر البلاد العربية العثمانية ، وقد صور محمد لطفي جمعة خطة المؤيد فقال : انتشر المؤيد في أنحاء الكرة الارضية مقروءا من طنجة وفاس كما كان يتلى في شنغهاي وهونولولو والفلبين ، وحيث وجد ناطق بالضاد ، فكان المؤيد من أدوات الحياة العقلية التي لا يستغنى عنها(٢٨) .

برزت مواهب الخطيب الصحفية من خلال عمله في المؤيد فركز على بعض النواحي الصحفية الهامة مثل : الافتتاحية ، وكثيرا ما كان يتخيرها بنفسه ، فيتأخر في دار

---

* عدة لقاءات شخصية مع محب الدين الخطيب رحمه الله في القاهرة سنة ١٩٦٥ وما بعدها .

المؤيد ليترجم مقالة تناسب الوضع ، من الصحف التركية كجريدة « اقدام لاحمد جودت بيك » ، أو غيرها من جرائد ذلك الوقت ... أو يقوم بكتابتها بنفسه بعد أن توثقت صلته بالشيخ علي يوسف صاحب الجريدة . كما لمس أيضا أهمية السرعة في نشر الخبر وتقديمه للقراء فور وقوع الحدث ، أو « السبق الصحفي » فيحصل على البيانات اللازمة من مصادر متعددة أو يتأكد منها بسرعة فائقة ، قبل أن يفلت منه الخبر الجديد وينشر في جريدة أخرى . وقد استخدم هذا الاسلوب في وقت مبكر عندما أصدر ملحقا صحفيا في الفترة التي وقع فيها الهجوم الايطالي على طرابلس الغرب(١٩) وعندما نشبت حرب البلقان . ونقل محب الدين الخطيب سكنه الى منزل قريب من دار المؤيد ، كي يستطيع متابعة الاخبار . ويقول في مذكراته : « كثيرا ما كان الباعة ينادون على الملحق في الشوارع والاسواق ، ويكون الشيخ علي يوسف في منزله، فيرسل من يقوم له بشراء الملحق ويطلع على ذلك كأي قارىء من جماهير القراء » . ويشير الخطيب الى أنه صار يتصرف بالجريدة حسب عقيدته وقناعاته ، وانه حول جريدة المؤيد الى جريدة عربية محضة : « كأنها جريدة المفيد التي كان يصدرها في بيروت عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس* أعضاء جمعية العربية الفتاة »(٢٩) .

وقد جعل الخطيب من المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٣ حدثا صحفيا هاما ، وبدلا من اصدار ملحق صحفي حوله ، أصدر كتيبا سجل فيه أحداث المؤتمر وقراراته بطريقة صحفية باهرة كملحق كبير لحدث هام ، فبين بشكل موضوعي أين تكمن أهمية هذا الحدث التاريخي ، وركز على مكان انعقاده وبرر ذلك، كما استرعى الانظار الى ضخامة « الجماهير » التي حضرت المؤتمر وأبدى رأيه حول هذه النقطة الهامة في ذلك الحين ،وسلط الاضواء على بعض شخصيات المؤتمر ومكانتهم العلمية والدينية والحزبية والاجتماعية بالنسبة الى القضية السورية ـ العربيه ،وهذا بالاضافة الى نشر مناقشات المؤتمر وما توصل اليه الحاضرون من مقررات تركها للقارىء كي يقوم بدراستها وتحليلها(٣٠) .

ويمكن القول باختصار أن مواهب الخطيب الصحفية قد تفتحت في جريدة المؤيد، وان كتاباته كانت ذات سمة قومية اصلاحية واضحة ، يتعذر الفصل فيها بين المنطلق القومي والمنطلق الديني فصلا كاملا ، من ذلك انه عندما نشرت مجلة «العالم الاسلامي» الفرنسية الدراسة المتعلقة بأعمال المبشرين البروتستانت في العالم الاسلامي ، وفتحهم المدارس والجمعيات والمستشفيات في البلاد ... قام هو وأحد زملائه بترجمة هذه

---

* توفي فؤاد حنتس خلال الحرب العالمية الاولى أما عبد الغني العريسي فهو أحد شهداء ٦ أيار سنة ١٩١٦ .

المقالات ونشرها في المؤيد بشكل متتابع ، ونقلت هذه الفصول الى مجلة « المنار » في القاهرة ، والى جريدة « الاتحاد العثماني » اليومية في بيروت ، مما أثار جدلا وحوارا على صفحات الجرائد بين ناشري هذه الدراسة من الاجانب، وبين محب الدين الخطيب بوصفه مترجما وناشرا لها(٢١) .

وعلى الرغم من أن محب الدين الخطيب كان يتحدث في بعض مقالاته التي كان ينشرها في المؤيد عن (أمة المسلمين) و (شؤون المسلمين) ، الا أنه كان يدعو قومه العرب الى تحمل هذا العبء الاصلاحي ، ويطرح حلا لمعالجة « هذه الاوضاع في البلاد العربية الاسلامية ، بضرورة ربط آمال الامة العربية الاسلامية بالجزيرة العربية وأمرائها » ولذلك انتسب الى جمعية الجامعة العربية التي أسسها الشيخ رشيد رضا سنة ١٩١٤(٢٢) وسافر في مهمة رسمية الى الجزيرة العربية لطرح هدف هذه الجمعية وتحقيقه ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، اذ قبض عليه الانكليز في ميناء البصرة . ولم يتحقق له الوصول الى الجزيرة العربية الا عندما أعلن الشريف حسين بن علي الثورة العربية الكبرى ، واستدعى الخطيب ليتولى تحرير جريدة القبلة الرسمية فيها .

٢ ـ جريدة القبلة :

صدرت جريدة القبلة منذ بداية الثورة العربية الكبرى أي في شهر حزيران سنة ١٩١٦ ، وجعلت شعارها الآية الكريمة : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه »(٢٣)، وتدفق أحرار العرب نحو الحجاز ليشاركوا في هذه الثورة(٢٤) ، وأسهم بعضهم في الاشراف على صحافة الثورة بشكل خاص ، ومنهم الخطيب بعد أن طلبه الشريف (شخصيا) في تموز١٩١٦ فسافر في اليوم الثالث من أيام عيد الفطر سنة ١٣٣٤هـ الى مكة المكرمة . (تموز ١٩١٦) . ويذكر الخطيب هذا الطلب باعتزاز في مذكراته(٢٥) .

كان العمل الظاهر لمحب الدين الخطيب ، تأسيس المطبعة الاميرية لحكومة الحجاز العربية ، واصدار جريدتها الرسمية « القبلة » ، وقد ظهرت في عددها الثاني تحمل اسم المدير المسؤول : محب الدين الخطيب(٢٦) .

اتبع الخطيب في جريدة القبلة أسلوبا صحفيا مميزا ، يعتمد بالدرجة الاولى على « نوع الخبر » وأهميته ، ويحدد له ، تبعا لذلك ، مكانه من الجريدة والمساحة الورقية التي سيحتلها ، ومكانه بين الموضوعات الاخرى .. وقرر محرر « القبلة » منذ البداية أن هذه الجريدة ستكرس جهدها لخدمة الاسلام والعروبة معا ، وانها : تسعى وراء خدمة الاسلام في أقطار المعمورة وتجد في سبيل ترقيهم وتقدمهم ، وتجاهد لاعلاء شأن الامة العربية »(٢٧) ، ولا عجب في ذلك ، لأن شعار الثورة العربية الكبرى هو الدفاع

عن العروبة من جهة ، وعن الاسلام من جهة اخرى ، وقد ظهر ذلك في المنشور الاول للثورة الذي صدر بتاريخ ٢٦ حزيران سنة ١٩١٦، الموافق ٢٠ شعبان ١٣٣٤ هـ – أي قبل وصول الخطيب الى مكة – وبقيت الجريدة محافظة على ابراز هذه المحاور الرئيسية والسمات البارزة للحوار السياسي الدائر في ذلك العصر بين العرب والترك، وكان لا بد من محرر يؤمن بهذه المحاور ويتفهمها جيدا ، ليستطيع نقلها الى الجماهير واقناعهم بها . وكان الخطيب هو هذا الرجل فعالج في القبلة قضايا العصر ، ومنها قضية استبداد الاتحاديين ووصفه بأنه :« استبداد مقنع بالدستور » . واستنكرت الجريدة تهجم الاتراك على العرب ودورهم التاريخي ، وبيَّن الخطيب شارحا ومحللا أن خدمة الاسلام تأتي عن طريق نهضة العرب وعزتهم : « فالعنصر العربي لا يزال أصلح العناصر الاسلامية للقيام بأمر الاسلام واعادة مجده الى الانام » .

وقد شغلت قضية « التتريك » لأهميتها ، حيزا مهما في الجريدة في ذلك الوقت، « اذ خص الاتحاديون العرب ولغتهم بالاضطهاد » ، وشرح الخطيب في افتتاحيات القبلة ومنشورات الثورة المتتالية كيف حاول الاتحاديون قتل اللغة العربية في جميع الولايات العثمانية بابطالها من المدارس ومنع استعمالها في الدواوين والمحاكم ، وبرر الاسباب التي دعت شريف مكة ومن ورائه العرب لاعلان الثورة على الاتراك وهو : « أشد الناس بغضا للحرب وحبا للسلم »(٣٨) وأدت هذه الطريقة الواضحة في نشر الخبر وشرحه وتعديله الى وصول أنباء الثورة بطريقة مبسطة ومقنعة للمسلمين من غير العرب ، وللعرب والمسلمين المغتربين في المهجر ، كما سجل الخطيب بدقة كيفية قيام الثورة وانتشارها والعلاقات الخارجية التي حاولت أن تقيمها ، ودعم ذلك ببعض الصور والامثلة المقارنة ولا سيما في « الافتتاحية » التي كان يحرص على كتابتها .

ولعل القضية الكبرى التي تبناها الخطيب وشرحها شرحا وافيا في الجريدة هي الدعوة للوحدة العربية : وتحقيق أهداف الثورة وآمال العرب ، بقيام الدولة العربية المشرقية الكبرى التي تضم بلاد الشام والجزيرة العربية والعراق(٣٩) وقد أيد الخطيب في دعوته هذه عدد كبير من أحرار العرب الذين شاركوا في تحرير جريدة القبلة غير أن كتابات الخطيب « والحزبيين » منهم كانت مميزة لانها تنبع من ايمانهم بضرورة الثورة ، ومن ايمانهم بأهداف التنظيمات العربية المنتسبين اليها ، السرية منها والعلنية مثل : جمعية العربية الفتاة وجمعية الجامعة العربية وحزب اللامركزية .. واذا كان الخطيب قد ركز على تنفيذ مقررات المؤتمر العربي الاول الذي عقدته الجمعيات في باريس سنة ١٩١٣(٤٠) فانه لم ينس الاشارة الى مطالب « جمعية العربية الفتاة » التي جاءت في صرخاتها الثلاث(٤١) ، فأشار الى هذه المطالب في جريدة القبلة، وكذلك شرح وأكد أهداف ومطالب جمعية الجامعة العربية التي تتمثل في ربط آمال الامة العربية الاسلامية بالجزيرة العربية وامرائها : فقد صرح في أكثر من مكان في

الجريدة أن على العرب اليوم أمراء وأفرادا وشعوبا أن يعلموا انهم في « فاتحة دور جديد من انقلاب العالم » ودعاهم الى تحقيق الوحدة ، ضرب مثلا بالوحدة الايطالية والوحدة الالمانية في القرن الماضي ، وطالب الناطقين الضاد أن يعملوا مع اخوانهم في كل مكان لهذه الوحدة ، « وان لهم في سائر الاقطار العربية اخوة تربطهم بهم رابطة اللغة والجوار والمصلحة والعاطفة والدين ، وعليهم أن يضعوا نصب أعينهم جمع كلمة هذه الامة . . . فانهم ان فعلوا ذلك مشوا بهذه الامة العربية الى أحب أمانيها »(٤٢) .

ولسنا هنا بصدد اثبات أن جريدة القبلة هي جريدة الثورة العربية الكبرى الرسمية أم لا . . . ولسنا كذلك بصدد اثبات أنها جريدة جمعية العربية الفتاة أم لا . . ولكننا نشير الى الاسلوب الصحفي الجريء الذي استعمله المدير المسؤول للجريدة وبقية المحررين ، لدرجة انه عندما اتهمت الجريدة بأنها تتكلم باسم شخص معين ،ردت الجريدة بأن المسألة : « ليست مسألة أمير نادى باستقلاله ، بل هي أكبر من ذلك بكثير » وبينت أن المسألة الاساسية هي : « هل يكون العرب أو لا يكونون » وتجيب الجريدة بثقة أن العرب : « قد أجابوا تحت راية الامير الشريف قائلين : اما أن نكون أعزة أو نموت شرفاء »(٤٣) .

وتعد هذه المقالات الصحفية في القبلة دليلا على تجاوب شريف مكة مع ما طرحه أحرار العرب وأعضاء الجمعيات من أفكار قومية وخدوية ، ويمكننا القول ان الجريدة انطلقت تحمل الاراء القومية والاسلامية ، وبقي اسم محب الدين الخطيب يتصدرها حتى تاريخ ٢٠ أيلول ١٩٢٠ ، وعلى الرغم من أن الخطيب توجه الى دمشق بعد اعلان الحكم العربي الفيصلي ، فبقيت دون محرر مسؤول طيلة سنة ١٩١٩ الى أن استلم تحريرها حسين الصبان حتى توقفها سنة ١٩٢٤(٤٤). وهذا دليلعلى تمسك شريف مكة وحكومة الحجاز بشخصية الخطيب باعتباره صحفيا مميزا .

نجح الخطيب بوساطة القبلة في نقل أخبار الثورة العربية الى المجال العالمي عن طريقين : الاول اتصاله بالحركة الاشتراكية الجديدة ومطالبة قادتها بالوقوف الى جانب الثورة في مواجهة الاتحاديين ، والثاني : اتصاله بعرب ومسلمي المهجر . وكانت الاشتراكية ، هي الحركة الجديدة أو الحدث العالمي الجديد في ذلك الوقت . وقد أعجب بها الخطيب وأحب أن يقدمها للقراء ، وأن يطلب مساعدتها للعرب من خلال مؤتمر استوكهولم الذي دعا اليه الاشتراكيون، وقد طلب منأعضاء المؤتمر الذي: « سيكون جامعا للاشتراكية كلها : المعتدلة منها والمتطرفة » أن لا يأخذوا بأقوال الاتحاديين : « بعد أن انتدبوا اسماعيل جانبولاد بك معتمدا لهم في استوكهولم، ليكونوا على مقربة من زعماء السياسة ، وعلى بينة من تقلباتهم ، لعلهم يدفعون عنهم غائلة البوار وجائحة الدمار » وأخذ يشرح على صفحات القبلة عيوب الاتحاديين وكرههم

للعرب « وما يبطنون من الدخائل والاحقاد » ووصف هذه الفئة الاتحادية « الباغية » بأنها « لم تصدق في قول ولا في عمل » بل كانت شرا على العالم وعلى نفسها وعلى كل حر تحت الشمس » . وناشد الخطيب جماعة الاشتراكيين بقوله : « من العار على الاشتراكية ، خاصة والمدنية عامة .... أن يقبل لهم (أي للاتحاديين) رأي ويسمع لهم صوت » (٤٥) . ويتساءل : « أليس لعمري من المقتضيات السياسية والاقتصادية والتاريخية أن يستريح العالم من شر الطورانيين ، فتخلفهم تلك الامة التي شهد لها التاريخ بالفضل والسبق في عالم الحضارة والعلم وفي مجال الاصلاح والعمل » ؟ويكون الجواب « اللهم نعم »(٤٦) . ويشير الى العلاقة بين العروبة والاسلام بقوله : « خاصة وان الاسلام في حقيقته دين عربي ، وأن الله سبحانه وتعالي قد أشار الى ذلك في أماكن متعددة من القرآن الكريم »(٤٧) . هذا مع العلم أن الخطيب لم يشرح على صفحات القبلة السمات الرئيسية للحركة الاشتراكية الجديدة .. والاسباب التي دعت لقيامها ... الخ .

لقد تمكن محب الدين الخطيب بأسلوبه الصحفي المتميز ، ومناقشة الافكار الجديدة على صفحات القبلة ، والتي كانت مواضيع جديدة بالنسبة للصحافة المعاصرة من تنمية الوعي القومي ، والحوار السياسي داخل الوطن العربي وخارجه ، وتمكن من نقل القضية العربية وأخبار الثورة العربية الكبرى من الساحة العربية المحلية ، الى الساحة العربية في المهجر ، فأصبح المغتربون يكتبون للقبلة معبرين عن شعورهم تجاه الثورة ورجالها ، ويحيون القائمين عليها بقولهم « لتحيى دولة العرب وليحيى ملك الحجاز .... مالك قلوب الناطقين بالضاد في الجزيرة والقطرين وفي أطراف المعمورة أيضا »(٤٨) .

ولعل صدى هذه المقالات الصحفية ، وما أفرزته من أدبيات خاصة بالثورة العربية ، بحاجة الى بحث مفصل ، غير انه لا بد من الاشارة الى العلاقة الطيبة التي قامت في الحجاز بين محب الدين الخطيب وصحافة المهجر ،وتبادل الاراء حول النهضة الجديدة ، وبدأ الخطيب يعالج المسائل الهامة في ذلك الوقت بالنسبة لعرب المهجر ، والمسلمين من غير العرب ، فعالج قضية الهجرة ، وقضية الدين والدولة ، داعيا لاستعادة مجد العرب ، مقارنا بينهم وبين الترك ، وغيرهم من الامم ، وتطرق الى الخلافة والسلطة في مقالاته ، مما أقنع عرب المهجر بأن المهاجر : « ما كان يهجر وطنه لو كانت فيه الكلمة للعرب وللدولة العربية » . وكرر المهاجرون تحيتهم لكل رسول يحمل من الحجاز بشائر الحياة للدولة العربية(٤٩) .

٣ ـ جريدة العاصمة :

عندما دخل فيصل الى سورية بجيشه العربي في أواخر ١٩١٨، استأذن الخطيب

من الملك حسين أن يزور أهله في دمشق ، فوصلها في شهر تموز ١٩١٩ . وقد استقبله هناك أعضاء جمعية العربية الفتاة ، ليكون عضوا في لجنتها المركزية التي تشرف على ادارة الدولة من وراء ستار(٥٠) ، ونيط به ادارة وتحرير الجريدة الرسمية للحكومة العربية وهي جريدة « العاصمة » وأبيح له أن يكتب فيها مقالات توجيهية كما يشاء بلا مراقبة ، فوجه اهتمامه الى العلاقات العقائدية في المجتمع وأثرها السياسي ، وناقش الافكار التي ترتبط بالانسان والمجتمع والتاريخ بوجه عام ، ويوضح انه لا بد من البدء باصلاح الفرد لأن : نظام الدولة في كل أمة من الامم منتزع من نظام الجماعة ، وقائم على أساسه ، ونظام الجماعة منتزع من خلق الفرد وقائم على اساسه .

كان الخطيب في جريدة العاصمة مفكرا ومصلحا ، يضع النقاط على الحروف ، ويرد على قضايا ومشكلات ما بعد الحرب العالمية الاولى ، من قضايا اقتصادية واجتماعية وفكرية ... وقد استنكر على صفحات العاصمة ، كيف أن بعض المدارس الفكرية تحاول أن ترسخ في نفوس ناشئتنا غلطة من غلطات التاريخ تفسد علينا عقيدتنا في قوميتنا وتوهمنا ان هذه الدماء تجول في عروقنا ، انما هي دماء غريبة عن الدم العربي ، ويستغرب قول هؤلاء : « بأننا من الفينيقيين والاراميين » ويتساءل : « ولا أدري ما سوف يقولون لنا غير هذا في الايام الاتية »(٥١) .

وكانت هذه المواضيع الجديدة تتناولها الصحف ذات الاتجاه الفكري العربي الواحد ، والبعد القومي الواضح ، فلم تلبث جريدة « المفيد » أن تناولت هذا الموضوع تحت عنوان « حياتنا القومية » ، وصحيفة الاستقلال بمقالة عنوانها « نحن العرب ليحي العرب »(٥٢) ، مما ساعد على تكوين الوعي العام العلمي والاجتماعي والقومي ، بالاضافة الى الوعي الاقتصادي ، ونشاط الحوار السياسي . وطرح الخطيب العلاقات الاقتصادية وأثرها السياسي ، فبحث في التكوين الطبقي ، وفي الفلاح والارض ، وناقش قضية العامل والسخرة والرشوة . وقدم في أعداد العاصمة تحليلا تاريخيا لتطور العلاقات الانتاجية بصورة عامة، أبرز فيها أثر حاجات الانسان المادية على الحياة الانسانية وتطورها .

كانت قضية العمال تشغل بال محب الدين الخطيب ، وفي رأيه أن « ليس سواد الامة قاصرا على طبقة المتعلمين والاعيان وتجار الحواضر « الذين يقرؤون الصحف اليومية ... » بل سواد الامة في رأيه « ... هو المتكون من جماهير العمال وسكان القرى والجبال والعاكفين على شق الارض واستنباتها ، فهؤلاء هم الذين يجب على المتعلمين أن يصرفوا هممهم الى تنوير قلوبهم وعقولهم ، وترقية مواهبهم ومداركهم ليتكون للامة راي عام بوساطتهم »(٥٣) .

ومن هذا المنطلق ، اتجه الخطيب نحو التنظيم الشعبي ، فأسس مع كامل

القصاب اللجنة الوطنية العليا ،وفروع اللجنة الوطنية العليا ،وهي خارج نطاق بحثنا، غير أنه لا بد لنا من الاشارة الى أن شباب هذه اللجنة ، هم الذين قاوموا الجيش الفرنسي في ميسلون ، وكانوا بمثابة الجيش الشعبي في سورية أيام الحكم العربي الفيصلي(٥٤) واعتنت اللجنة كذلك بالوضع الاقتصادي وتأمين الحبوب لافراد الشعب، وقد بين محب الدين الخطيب على صفحات جريدة العاصمة اهتمام اللجنة الوطنية العليا بهذه الناحية ، عندما شكلت وفدا توجه الى الحاكم العسكري العام يرجوه عدم تصدير الحبوب الى خارج المنطقة الشرقية رحمة بالفقراء ، فوعدهم خيرا(٥٥) .

ولعل محب الدين الخطيب أول من طالب « بتأسيس مصرف مالي عربي » من منطلق أن المصارف الوطنية عنوان الاستقلال الاقتصادي ، والاستقلال الاقتصادي دعامة الاستقلال السياسي ، وفي رأيه انه : « ما نشبت مخالب الاستعمار في بلد من بلاد الشرق الا على أيدي المتمولين من الاجانب » . ويشير محب الدين الى العلاقة بين وجود المصارف الاجنبية في بلد من البلاد وجود «الجند الاجنبي» بقوله : « ان وجود المصارف الاجنبية هو مقدمة لوجود الجند الاجنبي في يوم ما داخل قلاع ذلك البلد » وقد تكلم الخطيب عن بنك مصر وفوائده المتعددة ورفع اقتراحه بتأسيس مصرف مالي عربي الى رئيس الوزراء ، ووزير المالية وكبار التجار والاعيان(٥٦) .

بقي الخطيب في دمشق يشرف على جريدة العاصمة ، وكانت تصدر بمعدل مرتين في الاسبوع ، طيلة العهد الفيصلي ، يدافع عن استقلال البلاد «وضرورة الالتفاف حول سمو الامير المعظم » ، ويدعو الامة العربية عامة والشبيبة منها خاصة « أن تبقى مستظلة بالراية التاريخية المربعة الالوان»(٥٧) ، وبقي مخلصا للعهد العربي الفيصلي، حتى كانت موقعة ميسلون في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ وانهيار الحكومة العربية أمام جيش فرنسا ، فخرج محب الدين الخطيب متوجها نحو مصر ، ليبدأ حياة صحفية جديدة، بمضامين جديدة ذات طابع اسلامي ، وسمات اصلاحية واجتماعية جديدة .

أما على النطاق الرسمي فقد سجل الخطيب على صفحات العاصمة بدقة صحفية العلاقات الخارجية التي بنيت عليها هذه التجربة الفيصلية ، والعلاقات الدولية التي حاول الحكم العربي الفيصلي أن يقيمها مع الدول الكبرى وغيرها .

وعلى النطاق الداخلي ، سجل الخطيب أهم أحداث العهد ، وركز على افتتاح المؤتمر السوري ، وسجل جماهيرية هذا المؤتمر ، وعدد الحضور والشعور الشعبي ، والتأييد الجماهيري ... ونقل صورة واضحة على صفحات العاصمة لتتويج الامير فيصل ملكا على سورية في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ .

وهكذا ترك الخطيب على صفحات الجريدة الرسمية في الحجاز ودمشق سجلا

وثائقيا وافيا حول الاحداث الوطنية العامة والقرارات الرسمية لحكومات تلك الفترة أيضا .

نشاط محب الدين الصحفي من سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨ :

اذا كان الخطيب قد ركز على شرح البعد القومي والنزوع الى القومية العربية والعروبة في صحافة الربع الاول من القرن العشرين ، فانه ركز كذلك على البعد العقائدي الاسلامي في صحافة الربع الثاني لهذا القرن بل وحتى وفاته سنة ١٩٦٩ .

وكانت منطلقاته الفكرية تتركز على مقاومة الاستعمار السياسي والاقتصادي والفكري الذي وقعت المنطقة العربية ، بمشرقها ومغربها ، تحت تأثيره من خلال الانتدابين البريطاني والفرنسي وتسويات ما بعد الحرب العالمية الاولى .

ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى فترتين زمنيتين :

الاولى من سنة ١٩٢٤ الى ١٩٢٩ وهي فترة الاتجاه الادبي ـ الاجتماعي، ويتمثل في مجلة الزهراء التي أصدرها الخطيب في هذه الفترة بالاضافة الى دعوة واضحة لمزج الاصالة بالتحديث .

والثانية : من سنة ١٩٢٦ الى ١٩٤٨ ثم من ١٩٥٢ الى ١٩٥٨ وهي فترة الاتجاه الديني ـ الاسلامي ، ويتمثل في مجلتي الفتح والازهر اللتين أصدرهما في خلال هذه السنوات . وقد تطرق من خلالهما الى أهم قضايا هذه الفترة ، مثل قضية فلسطين ، وقضية التحرر العقلي من الاستعمار . ويشير : لا يمكن أن يتصور امكان تجرد ثقافة عربية من روح الاسلام : « لأن العروبة والاسلام شيء واحد ، وماضيهما ماض مشترك ومتلازم »(٥٨) ويكرر ذات المعنى في مقالات أخرى في مجلة الازهر .

مجلة الزهراء والاتجاه الادبي :

تعكس مجلة الزهراء ، التي أصدرها الخطيب في مصر ، التطور الذي طرأ على تفكيره هو وأمثاله في هذه الفترة .. فقد شهد هؤلاء الرواد آمالهم القومية الوحدوية تخبو أمام الضغوط الاجنبية ومصالح الدول الاستعمارية المنتصرة ، التي قضت على الدولةالعربية الفيصلية الوليدة ،وأخذت فرنسا وانكلترا تطبقان معاهدة سايس ـبيكو وتجزئان المنطقة ، كما هو معروف ..ووقعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي، وسورية الجنونية والعراق تحت الانتداب البريطاني ، وكان الخطيب في هذه الاثناء قد اتخذ من مصر وطنا ثانيا له ، يرقب الاحداث والاضطرابات ، والتقسيمات التي قام بها الجنرال غورو في سورية(٥٩) ، وما وصل اليه الامر من سوء ، وكيف أصبحت

البلاد المقدسة في فلسطين لاول مرة بعد الحروب الصيلبية بأيد أوربية ، وعاصمة الامويين والعباسيين تحتلها قوات أجنبية .

في هذه الاجواء المضطربة أصدر الخطيب مجلة الزهراء سنة ١٩٢٤م لتأخذ طابعا أدبيا أكثر منه سياسيا ، وصدر العدد الاول منهــا يوم ١٥ محرم ١٩٤٣ هـ لتستمر في الصدور خمس سنوات متتالية ، تحمل الجملة التي ثبتها على الغلاف : مجلة علمية أدبية اجتماعية ... ويمكن القول ان الزهراء كانت المجلة ـ الجسر ـ بين الصحافة التي كان الخطيب يشارك في تحريرها قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها ، ذات الاتجاه القومي والطابع العربي ، وبين الصحافة التي أصدرها أو ساهم في تحريرها في فترة ما بين الحربين ، وهي صحافة ذات اتجاه ديني وشمول اسلامي ، يتمثل في مجلات الفتح والازهر « والشبان المسلمون » وغيرها .

ونلمس في مجلة الزهراء دعوة واضحة الى مزج الاصالة بالتحديث وضرورة ذلك عند العرب للحفاظ على حضارتهم ، ويؤكد الخطيب في عدة أماكن انه : لا بد لنا من « الاحتفاظ بتقاليدنا القومية » من ناحية ، و : « المحافظة على لغتنا العربية الاصيلة » من ناحية أخرى . وقد دعا الخطيب الى : « المرونة في الاقتباس » من حضارات الامم المجاورة لنا ، فهي حضارات معاصرة ، تقدمت خطوات وسبقتنا في مجالات القوة ، والنظم الادارية والممارسات السياسية وغيرها(٦٠) . ولا بد لنا من الاستفادة من هذه الوسائل العصرية شريطة الابتعاد عن السفاسف والقشور الغربية التي قد تكون سببا لتنفير الشرق حتى من النافع(٦١) .

وقد لمس الخطيب أهمية هذه المواضيع الجديدة التي كانت مدار بحث ونقاش في هذه الفترة ، فكان يناقشها في « الافتتاحية الصحفية » ، واجهة المجلة أو الجريدة ، كما أدخل الخطيب في مجلته الجديدة هذه عدة أبواب صحفية تلبي متطلبات العصر وتتناول أهم الانباء العالمية ، سواء أكانت أنباء سياسية أم أدبية أم رياضية ، ويقول الخطيب ان النبأ المهم أو « الساخن » (باللغة الصحفية) ليس بالضرورة النبأ السياسي فقط .

وركز الخطيب في هذه المجلة أيضا على أنباء العالم الاسلامي بشكل خاص ،وكانت لها أبواب معينة على صفحات خاصة في المجلة ، الا أن الزهراء ظلت ،طيلة فترة صدورها تركز على سمات العرب الحضارية وآدابهم ، وأنهم أغنوا الحضارات العالمية بتراثهم العلمي وتشيد متفائلة بأهمية النهضة الحاضرة في مصر والاقطار العربية الاخرى .

ويبرز الخطيب تأخر الشرق وضعفه بأن يلقي اللوم على فريقين: الاول الحكومات الاسلامية ، التي شهدت تطور أوربا وما ترتب على هذا التطور من نتائج سياسية

وعمرانية فمرت بذلك كله كما يمر به من لا يعنيه أمره ،والثاني عقلاء الامة وقادة الراي منها الذين سكتوا عن هذا الوضع لأن الحكومات تستمد قوتها من سلطة شعوبها (٦٢). فاذا تنبه قادة الشرق من غفلتهم وكانوا « بعيدي النظر نافذي البصيرة ، فانه بامكانهم أن يبدؤوا للشرق عصرا جديدا »(٦٣) .

وعزز الخطيب هذا البعد الادبي في مجلته عندما أخذ ينشر شروحا وافية لأهم المؤلفات الادبية والتاريخية ، ووجه عناية خاصة لحركة التأليف والنشر بشكل عام واعتنى بالمؤلفات الصادرة على المستوى العالمي ، واخذ يدعو الى « محاولة الاقتباس» منها « حسب ما يتناسب والثقافة العربية والاسلامية »(٦٤) .

التزم الخطيب بهذا الخط الادبي الذي اشترط في امتياز الزهراء ولم يتدخل في الدين والسياسة ، وبرر الاسباب التي دعت الى اصدار جريدة الفتح سنة ١٩٢٦ الى جانب الزهراء ، ثم اضطراره للتوقف عن اصدارها .. ويلخص ذلك بقوله : ان الاوضاع العامة التي كانت تمر بها المنطقة (تحت الانتداب) كانت تستدعي الاتصال بالشباب ، والرأي العام ، والشباب المثقف ، لمقاومة التيارات السياسية والثقافية الدخيلة « تيار الالحاد والتغريب » وامتياز الزهراء لا يسمح بذلك فكان لا بد من اصدار صحيفة جديدة(٦٥) .

ويشير الخطيب على صفحات الفتح الى الاوضاع السيئة التيكانت تمر بها البلاد من : الفاء تركية الحديثة للخلافة الاسلامية ، والتجزئة السياسية التي أصابت المنطقة والغزو الفكري ... « فكان على هذه الصحيفة الاسبوعية الصغيرة أن تقف في وجه تيار عظيم ، يدفعه موج من خلفه موج ومن بعده موج .. »(٦٦) وشرح الخطيب أوضاع الوطن العربي ، ولكنه وجه نظره نحو قضايا العالم الاسلامي « الذي انصرف عنه الناس » . ووظيفة الفتح في رايه : «أن تزن الحوادث بميزان هداية الاسلام»(٦٧) .

ومع بداية السنة السادسة لصدور الفتح، (العدد ٢٥١) حدد الخطيب ما أسماه « مبادىء الفتح » على الشكل التالي :

١ ــ الفتح لأهل القبلة جميعا والعالم الاسلامي وطن واحد .

٢ ــ المسلمون الى خير ولكن الضعف في القيادة .

٣ ــ انت على ثغره من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك .

٤ ــ اعمل يراك الله وحده وتوار عن انظار الناس .

٥ ــ الفتح رسالة الاقطار العربية بعضها الى بعض .

٦ ــ الفتح رابطة روحية بين قرائه(٦٨) .

والتزم الخطيب بهذه المبادىء حتى توقفت الفتح عن الصدور سنة ١٩٤٨م .

أما بالنسبة لقضايا الوطن العربي فقد وجه الخطيب عناية خاصة لقضية فلسطين وحذر من تهويدها بقوله « فلسطين ستكون يهودية بعد أربعة عشر عاما » ان لم يغير عرب فلسطين ما هم فيه(٦٩) كما خصص عدة مجلدات من الفتح لهذه القضية العربية الاسلامية وذلك منذ سنة ١٩٣٥ حتى ١٩٤٨ واصدر عددا خاصا وهو عدد أيلول سنة ١٩٣٨ للقضية الفلسطينية ، قدمت من خلاله دراسات لعدد من كبار الكتاب من مختلف الاقطار العربية .

وفي سنة ١٩٤٦ أصدرت المجلة عددا خاصا عن فلسطين بمناسبة وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ، ولم ينس صاحب الفتح أحداث فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فكتب عدة مقالات عن أحداث ١٩٤٦ و١٩٤٧ . وعندما قامت الدولة الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ ناقشت الفتح هذه القضية في مجلدين (السابع عشر والثامن عشر) مرورا بتقسيم فلسطين ، وقيام الحرب بين العرب واليهود ، وجرائم اليهود المتعددة في فلسطين ، وقضية فلسطين في ضوء انتصار الحلفاء ، وانحياز أمريكا السافر الى جانب اليهود . . .

وأما بالنسبة للقضايا الاخرى فقد تطرق في المجلدين الاخيرين المشار اليهما ، الى قضايا العصر مثل : بروتوكول جامعة الدول العربية ، والجلاء عن سورية ، كما تطرق لقضايا العروبة ومفهومها الاسلامي الاصيل ، وضرورة العناية بتعليم اللغة العربية في مواجهة التحديات الاوربية ، مثل فرض التعليم باللغات الفرنسية أو الانكليزية وادارتها من قبل الاجانب (المدارس التبشرية) وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ووجه اهتمامه الى أهمية القرآن الكريم وتفوق اللغة العربية على لغات الدنيا(٧٠) .

وتناول الخطيب موضوع العلاقات الاقتصادية ، وبين أثرها السياسي على أوضاع البلاد بشكل عام ، وقد وضح هذا الاثر بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان لا بد من وضع خطة لمواجهة هذه الاوضاع . وقد أشار الخطيب الى أنه : « اذا أردنا أن نكون أصحاب أوطاننا والمتصرفين في أنفسنا (يخاطب اخوانه العرب) فيجب علينا أولا وقبل كل شيء ان ننظم حياتنا الاقتصادية تنظيما جديدا . . » ثم يحدد الخطيب أسس هذا التنظيم وقواعده بقوله : « نجعل معه ثروتنا في خدمة سعادة بلادنا ، ونهيء كل يد عاملة للعمل الحلال حتى يكون ميسورا أمامها ، وهكذا نفتح الابواب لخير البيوت منفردة ولخير الوطن مجتمعا »(٧١) .

وهكذا كانت مجلة « الفتح » منبرا لقضايا وأخبار دنيا العروبة والاسلام ، وكان الخطيب يصدر منها خمسين عددا في السنة ، أرخ فيها تاريخ الحركة الفكرية

والاجتماعية منذ صدورها في سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م . غير أن الاوضاع الصحفية قد تطورت في زمنه ،وأصبحت تعبر عن أغراض خاصة بدلا من الاغراض العامة ،وأصبحت الكتابة تجارة ونهم ، وأصبحت الاقلام تسخر لخدمة الجشع المادي والاسفاف ، غير أن المجلد السابع عشر جاء غنيا ببحوثه الدينية والقومية والسياسية وكان المجلد الثامن عشر (ذي الحجة سنة ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م) المجلد الخاتم لهذه المجلة الرائدة في الدعوة للاسلام والعروبة .

ويصور الخطيب الوضع الصحفي في مجلة الازهر ،ويشير الى أن الصحافة كانت أيام المؤيد واللواء « أداة ارشاد» ترى من واجبها أن تأخذ بيد الشعب لتنهض بمستواه القومي والملي والعقلي والثقافي(٧٢) . وبين التحولات التي طرأت على الصحافة بين الحربين ، وبعد الحرب العالمية الثانية ، فغدت : « صناعية تجارية تدفع الضرائب وتستلهم اهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم من عناوين خداعة ، وتشجيع للملاهي » ودعا أصحاب الاقلام الى ان يكونوا « ابرياء من الغرض ، اوفياء للحق ، وان يأخذوا أنفسهم بشيء من ادب القول حتى يكون لكلامهم قوة الصدق ، فلا يرميهم رام بأن كتابتهم تجارة وحتى لا تجري فيهم الالسن بأنهم وراء المادة وحدها ، لا أنصار فكرة ولا دعاة الى مبدأ . ولا عليهم ان يغالطوا الناس فيما يعرفه الناس منهم»(٧٣). ودعا الخطيب حملة الاقلام الى معالجة القضايا الاجتماعية ، وخاصة قضية التعليم في الازهر ، ورفع هو شخصيا الى شيخ الجامع الازهر تقريرا حول مناهج الدراسة الازهرية ، وطلب منه تعديل المناهج : « ليؤدي الازهر رسالته نحو الاسلام وتراثه الثقافي ، ونحو أهله في نهضتهم الاجتماعية والخلقية والدينية ، ليثبتوا مكانه اللائق بهم في طليعة الامم المعاصرة لنا »(٧٤) .

كان الخطيب يدعو الى التحرر العقلي من الاستعمار وما طرحه في بلادنا من عادات وتقاليد وأساليب تعليم غريبة عن محيطنا ، ويرى انه لا بد لكل امة تحررت من الاستعمار السياسي والعسكري ان تتحرر من الاستعمار العقلي والثقافي بحزم واجتهاد عظيمين ولو بالتدريج : « الى ان تكون لها ثقافة قومية مستقلة نستمدها من آدابها وتراثها العقلي والفكري » ويشير الخطيب الى ان هذا يحتاج الى وقت طويل ولكن في رأيه : « يجب ان ترسم له الخطط من هذه الساعة »(٧٥) .

وكان الخطيب على مستوى من الجرأة الصحفية عندما طرح في مجلة الازهر قضية العروبة والاسلام في وقت مبكر ، وقد اخذ هذا العرض منه وقتا طويلا وعلى مدى عدة مجلدات ويؤكد الخطيب اننا عرب عريقون في عربيتنا وعروبتنا بل « نحن اعرق فيها من تركيا في تركيتها ، ومن جرمانيا في جرمانيتها(٧٦) .

واذا علمنا ان الصحافة المصرية في هذه الاثناء كانت صحافة حزبية تتكلم باسم

الاحزاب الوطنية المصرية المتعددة ، أو صحافة انكليزية مؤيدة للاحتلال(٧٧) ، علمنا أيضا مدى جراة محب الدين الخطيب الصحفية ومهاجمته للاحتلال الذي كان يطلق عليه أسم « الاستعمار » وكان يميز على صفحات الجرائد بين الاستعمار العقلي والاستعمار العسكري ، مهاجما اساليب التعليم التي نشرتها بريطانيا وفرنسا في مصر وغيرها من البلدان العربية ويشير الى أن : « الاستعمار العقلي شر على الامم الاسلامية من الاستعمار العسكري ، ولا يشعر به عامة الناس ، وكثيرا ما يلتبس امره على خاصتهم ، فيحسبون ما فيه من سم دسما ، وهذا ينطبق على المثقفين ايضا ، ويؤكد قائلا « بل رأينا ألوفا من المثقفين يمجدونه ويدافعون عنه ، ويسمونه تقدما وارتقاء، ولذلك كان التخلص من الاستعمار العقلي أصعب من التخلص من الاستعمارالعسكري، لانه تختلط فيه الوسائل بالغايات ، وقد يباح في الوسائل ما لا يباح في الغايات»(٧٨).

ثم يشير الخطيب الى أن أخطر آثار الاستعمار العقلي ، الايحاء بأن الكلام عن العروبة وأصالتها وعراقتها في الانسانية ، قد يحمل على العصبية الجنسية ، وقد يتنافى مع الدعوة للاسلام والمسلمين ، بينما الواقع ان العروبة هي : ظئر الاسلام وان العروبة والاسلام كليهما : « من كنوز الانسانية وينابيع سعادتها ، اذا عرف أهلهما قيمتهما ، واذا أتيحت لهما أسباب الظهور للناس على حقيقتهما » .

ويؤكد الخطيب على ان الحضارة : « بوتقة تذوب فيها الانساب وتبقى فيها التقوى الاسلامية والآداب الفاضلة ولغة القرآن والجامعة وتعاون جميع أبناء العروبة والاسلام على العمل الصالح لبناء الكيان الصالح في الدنيا والاخرة »(٧٩) .

ابتعد الخطيب عن المهاترات الصحفية التي سادت النصف الاول من القرن العشرين في انحاء العالم ، وخاصة في مصر ، كما ابتعد عن الصحافة الهزلية وصحافة الكاريكاتور ، وسخر قلمه لاعلاء شأن العروبة والاسلام ، مبينا ان الاسلام قد جمع قلوب اهله على محبة العربية والعرب ، كما فتح قلوب العرب لمحبة اخوانهم في الاسلام جميعا (٨٠)، فكان بذلك حامل لواء العروبة والاسلام . وان مقالاته الصحفية ـ وان دارت مع الاحداث في معظمها ـ كانت مناهج ثقافة وبرامج نهضة وتاريخ أمة ، وقد طوعت الصحافة بنان قلمه ، فكان سهل الاسلوب بغير غموض ولا تعقيد ، وكانت المجلات التي يصدرها تتخاطفها الايدي من الباعة بعد أن احتلت مكانا بارزا بين مجلات العصر ، حتى ليمكننا القول بأن محب الدين الخطيب كان من ابرز كتاب الامة العربية الاسلامية ومفكريها وأكثرهم شمولا في النصف الاول من القرن العشرين (٨١) .

الحواشي

(١) تقع مكتبة محب الدين الخطيب في حي الدقي في مدينة القاهرة (٤٦ ش عمان).

(٢) اطلعت على مذكرات الخطيب « سيرة جيل » سنة ١٩٦٥ – ١٩٦٦ وهي مخطوطة لم تطبع بعد، ثم اطلعت على جزء مطبوع نشرته جمعية التمدن الاسلامي في دمشق عام ١٩٧٩، أي بعد عشر سنوات من وفاته. الا ان المذكرات المخطوطة اكثر شمولا، وقد زادتها تعليقاته الهامشية ثراء وثائقيا وتاريخيا.

(٣) للباحثة بحثان عن الخطيب: الاول « أوراق محب الدين الخطيب » ضمن كتاب: **بحوث في تاريخ العرب الحديث مهداة الى الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم** جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٦، يعرف بمكتبته وما تتضمنه من أوراق بأنواعها، والثاني « رواد اليقظة القومية – المناضل محب الدين الخطيب » في **مجلة البحث التاريخي**، الجمعية التاريخية في حمص (سورية) يتناول الجانب السياسي من حياته، مستمدا من مذكراته المخطوطة « سيرة جيل » والوثائق الحزبية بشكل عام.

(٤) يشير محب الدين الخطيب في مذكراته الى ان الشيخ طاهر الجزائري توصل الى امنيته العظمى وهي جمع المكتبات الموقوفة على المساجد والمدارس وكانت معرضة للسرقة والاختلاس فجمعت في قبة الملك الظاهر وعرفت بالمكتبة الظاهرية وعين لها امينان: احدهما والده الشيخ ابو الفتح الخطيب، وكانت مدرسة (نمونه ترقي) أي مدرسة الترقي النموذجية تقوم في الجانب القبلي من البناء.

(٥) مكتب عنبر هو المدرسة الثانوية في دمشق وكان العثمانيون يطلقون اسم مكتب على المدرسة، وعنبر ثري اسرائيلي حولت داره الى املاك الدولة العثمانية اواخر القرن ١٩ وجعلتها مدرسة ثانوية وكان التعليم فيها سبع سنوات ولغة التعليم اللغة التركية. راجع: ظافر القاسمي، مكتب عنبر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م.

(٦) لقد اطلعت على هذه المخطوطات في دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٦٦، وكانت بحي باب الخلق، اما الان فقد نقلت دار الكتب الى (حي ماسبيرو) على النيل.

(٧) راجع حول البدايات الصحفية المخطوط الذي يحمل عنوان « الجيل الذي عاصر بعث العروبة وهو بخط محب الدين الخطيب » في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الاردنية.

(٨) أشرت الى هذه النشاطات بعدة بحوث بعنوان « صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام» في مجلة **دراسات تاريخية، جامعة دمشق،** (لجنة كتابة تاريخ العرب (العدد ٧، كانون الثاني ١٩٨٢، العدد ٩/١٠، تشرين الاول ١٩٨٢.

(٩) محب الدين الخطيب، المذكرات **سيرة جيل** المطبوعة، جمعية التمدن الاسلامي (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) ص ١٣.

(١٠) راجع د. سهيلة الريماوي مجلة **دراسات تاريخية**، العدد السابع، كانون الثاني ١٩٨٢ ص ١٣٤ وما بعدها « من الجمعيات العلمية الى الجمعيات السياسية» حلقة دمشق الكبرى وحلقة دمشق الصغرى التي أسسها الخطيب مع « زملاء المدرسة » في دمشق ١٩٠٣ أسوة بحلقة دمشق الكبرى التي أسسها الشيخ طاهر الجزائري قبل ذلك.

(١١) لقد تأسست هذه الغرف في مدخل حي النصارى بدمشق، أواخر القرن ١٩ فاستقطبت هواة المطالعة من الشباب العرب في هذه الفترة وخاصة طلاب مكتب عنبر – تعليق على هامش المذكرات (تاريخه غير محدد).

(١٢) راجع كتاب محب الدين الخطيب، **مع الرعيل الاول**، ص٣٠ وما بعدها مقالة بعنوان « في نادي الكلمة، أماني الطفولة وأحلامها » يصور هموم محب الدين الخطيب نحو هذه الامور وكيفية نقلها الى أترابه منذ دراسته الثانوية لانها في يقينه رسالة عظيمة. (ط١١

القاهرة ، المكتبة السلفية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

(١٣) كانت أولى الجمعيات جمعية النهضة العربية التي أسسها الخطيب سنة ١٩٠٦ في استانبول ولن نتطرق هنا لهذه الجمعيات التي أسسها أو شارك في تأسيسها .راجع **دراسات تاريخية** « صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام» ٢ كانون الثاني ١٩٨٢ ص ١٤٥ وما بعدها .

(١٤) التحق كرد علي بقلم تحرير جريدة الظاهر التي كان يصدرها محمد أبو شادي المحامي ، ثم بقلم تحرير المؤيد لصاحبها الشيخ علي يوسف (تعليق على هامش المذكرات) .

(١٥) محب الدين الخطيب : **سيرة جيل** ، المذكرات المخطوطة .

وراجع أيضا : « الجيل الذي عاصر بعث العروبة » مخطوط في مكتبة الخطيب ، يتكلم الخطيب عن نفسه في المذكرات بصيغة الغائب: يقول مثلا « رأي صاحب الترجمة » .

(١٦) من هؤلاء لطفي الحفار وشكري القوتلي في دمشق ومظهر رسلان وفايز العظم وعبد الكريم الخليل وشكري الجندي في الاستانة ، **سيرة جيل** ـ المذكرات المخطوطة .

وراجع الفتح مجلد ٩ عدد ٤٠٣ تاريخ ٣٠ ربيع أول ١٣٥٣ هـ ص ٦٣ .

والامير عارف الشهابي من أعضاء جمعية العربية الفتاة وأحد شهداء أيار ١٩١٦ كان يكتب في صحيفتي المفيد وثمرات الفنون تحت توقيع عبد الله بن قيس .

(١٧) ليعمل مترجما في القنصلية البريطانية بعد أن نصحه الاصدقاء بترك استنبول والتوجه لليمن فوصلها في شهر تشرين أول سنة ١٩٠٧ وبقي فيها الى ما بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ بعدة أشهر .

(١٨) محب الدين الخطيب **سيرة جيل المذكرات** ، أي تأسيس صحيفة تحمل اسم « جمعية النهضة العربية » التي أسسها محب الدين الخطيب ورفاقه في استامبول ودمشق : راجع د. سهيلة الريماوي **دراسات تاريخية** العدد السابع (سبق ذكره) .

(١٩) عرض الاتحاديون المادة الرابعة من الدستور في مجلس المبعوثان ونوقشت بتاريخ ٧/٧/ ١٩٠٩ وتنص على أنه : يمنع قيام الجمعيات ذات الاهداف السياسية والتسمية القومية في الدولة العثمانية ، وقد فازت عندما عرضت على الاقتراع فنالت تأييد ٩٠ صوتا ومعارضة ٦٠ صوتا .

(٢٠) مثل نقد الوالي ناظم باشا ونقد مدير المعارف وكانت الاوضاع غير مستقرة والرأي العام في بلبلة بسبب سياسة الاتحاد والترقي غير الواضحة عقب الاشهر الاولى من اعلان الدستور ، لمزيد من التفاصيل راجع « الجيل الذي عاصر بعث العروبة » مخطوط بقلم محب الدين الخطيب .

(٢١) كان الناس في ذلك الوقت يستعملون كلمة « حط بالخرج » ، للدلالة على عدم أهمية الحدث الذي يخشونه .

(٢٢) وثيقة من وثائق محب الدين الخطيب ،والجيل الذي عاصر بعث العروبة .

(٢٣) المصدر السابق .

(٢٤) كانت الدولة العثمانية قد أصدرت قانون الصحافة الاول ١٨٦٤ وبعد فشل الانقلاب الذي دبره أنصار السلطان عبد الحميد في آذار ١٩٠٩ ويعرف « بالانقلاب المضاد » أصدر الاتحاديون قانون الصحافة الثاني .

(٢٥) كانت المكتبة السلفية في بداية تأسيسها في مدخل خان الخليلي ثم انتقلت الى شارع الروضة في حي المنيل ، وقد اختار لها هذا الاسم الشيخ طاهر الجزائري ، ومما تجدر الاشارة اليه أن الخطيب طلب في وصيته المخطوطة بأن لا يطرأ على المكتبة السلفية ومطبعتها أي تقسيم أو تجزئة ، وأن لا تشجع أي كتاب أو نشرة فيها مساس بالاسلام والعروبة ولو كان ذلك فيه الثروة والغنى والجاه العام . **الوصية** « مخطوط في مكتبة الخطيب بالقاهرة » .

(٢٦) راجع د. عبد اللطيف حمزة : **أدب المقالة**

الصحفية في مصر ج٤ (الشيخ علي يوسف). طبعة ١٩٦٠.

(٢٧) راجع **دراسات تاريخية** العدد السابع ... سبق ذكره .

(٢٨) جريدة **البلاغ** بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩٣١م .

(٢٩) المذكرات : «سيرة جيل» ، **المخطوطة** ، وراجع أيضا : « الجيل الذي عاصر بعث العروبة » (مخطوط) .

(٣٠) راجع كتاب : **المؤتمر العربي الاول** ، المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية التاريخية بشارع سان جرمان في باريس ، جمعه محب الدين الخطيب وكتب المقدمة الشيخ رشيد رضا ، وقد صدر الكتاب سنة ١٩١٣ عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية الذي تبنى المؤتمر وعدد صفحاته ٢٤٠ صفحة ويعد هذا الكتاب أهم مصدر حتى الان عن المؤتمر . المؤتمر .

(٣١) يشير الخطيب الى أن المبشر « لوشائيليه » كان قد كتب بقلمه هذه الدراسة ، أما الحوار والمناقشات فقد كانت بين الخطيب وبين (مسيو مسنيون) أحد ناشري هذه الدراسة وكان في ذلك الحين بالقاهرة ، وقد نشر الخطيب هذه المناقشة في مجلة الفتح .

(٣٢) كان من أعضاء هذه الجمعية أيضا الامير عبد الله بن الحسين انتسب اليها سنة ١٩١٤ .

(٣٣) كانت الجريدة تصدر مرتين في الاسبوع وتعد جريدة الثورة الرسمية ...لمزيد من التفاصيل راجع : أعداد القبلة المتوفرة في مكتبة الجامعة الاردنية على « ما يكرو فيلم » : محمد عبد الرحمن الشامخ : نشأة الصحافة في المملكة السعودية ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .

(٣٤) يشير الخطيب في مذكراته الى أن رفاقه حاولوا الالتحاق بالثورة ولكن الحقوا بالجيش العثماني بعد أن أعلنت الدولة العثمانية النفير العام وكانوا يسمونه « سفر برلك »المذكرات المخطوطة. معالعلم انه لا يذكر أسماء الرفاق.

(٣٥) لقد طلب شريف مكة من السيد شريف الفاروقي ، رئيس الوكالة العربية التي أقامها في القاهرة ١٩١٦ ، ارسال عدد من الشباب العرب ورجالاتهم ،وطلب محب الدين الخطيب بالاسم .

(٣٦) انظر أعداد الجريدة في مكتبة الجامعة الاردنية « مايكرو فيلم » .

(٣٧) افتتاحيات الاعداد الاولى وقد أخذ النص من افتتاحية العدد الثالث .

(٣٨) **القبلة** ، افتتاحية العدد الثالث . وفي هذا العدد وصف كامل لمجريات القتال بين العرب والاتحاديين .

(٣٩) راجع حدود الدولة العربية المشرقية في كتاب عبد الله بن الحسين ، **المذكرات** ص١٠٢ ط١ عام ١٩٤٥ .

وهو خط يمتد من الاسكندرولة الى رفح ، ثم الى العقبة ويشمل حدود الجزيرة العربية تاركا عدن ، وينطلق من البصرة حتى ديار بكر في الشمال ثم يتجه غربا الى الاسكندرونة .

(٤٠) ظهرت مقررات المؤتمر العربي الاول في بيانات الثورة وقد نشرتها جريدة القبلة في أعداد متفرقة . (للاطلاع على المؤتمر ومقرراته راجع **كتاب المؤتمر العربي الاول** ، جمع محب الدين الخطيب) . أصدره سنة ١٩١٣ وقدم له الشيخ رشيد رضا .

(٤١) الصرخات الثلاث : هي البيانات التي أصدرتها الجمعية العربية الفتاة خلال الحرب العالمية الاولى وقد طالبت من خلالها « بالاستقلال صراحة » عن الدولة العثمانية . راجع د. سهيلة الريماوي ، **جمعية الفتاة السرية ــ دراسة وثائقية** ، دار مجدولاي ، عمان ١٩٨٨ .

(٤٢) **القبلة** ، الاثنين ٧ شعبان سنة ١٣٣٥ .

(٤٣) راجع **القبلة** ،الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٣٤.

(٤٤) راجع حول هذه النقطة د. محمد عبد الرحمن الشامخ **نشأة الصحافة في المملكة السعودية** ، ص١٠٤ وما بعدها .

(٤٥) **القبلة** ، الخميس ٢ رمضان سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧م .

(٤٦) المصدر السابق .

(٤٧) ويستشهد بسورة الرعد « وكذلك أنزلناه حكما عربيا» وبسور أخرى ،في أماكن متعددة.

(٤٨) **القبلة** ، الخميس الواقع في شوال سنة ١٣٣٥هـ .

(٤٩) راجع **القبلة** ، ٧ شوال سنة ١٣٣٥ عن مقالة كتبتها جريدة **مرآة الغرب** التي تصدر في نيويورك باللغة العربية عدد ١٣٥ من سنتها الثامنة عشرة بعنوان « حي على الفلاح » من مكتبة محب الدين الخطيب .

(٥٠) **سيرة جيل** ، « المطبوعة » ص ٧٢ .

(٥١) جريدة **العاصمة** ، العدد ٤٢ بتاريخ ٧ آب/ أغسطس سنة ١٩١٩ مقالة بقلم الخطيب بعنوان « قوميتنا العربية » .

(٥٢) ان تفاصيل المقالين خارج عن نطاق موضوعنا ، ولمزيد من الاطلاع راجع أعداد الجريدتين خلال شهر آب من سنة ١٩١٩ أعداد متفرقة .

(٥٣) راجع جريدة **العاصمة** بتاريخ ١٦ تشرين أول سنة ١٩١٩ المقالة بعنوان « وظيفة الارشاد ».

(٥٤) قدمنا دراسة وافية للجنة الوطنية العليا ولجانها في كتابنا **جمعية الفتاة السرية** ، عمان ١٩٨٨ ، اذ كانت اللجنة بمثابة الواجهة الشعبية للجمعية .

(٥٥) راجع جريدة **العاصمة** ، ٥ كانون ثاني سنة ١٩٢٠ .

(٥٦) **العاصمة** ، ١٩ نيسان سنة ١٩٢٠ .

(٥٧) **العاصمة** ، ١١ آب سنة ١٩١٩ ، « حي على الفلاح » .

(٥٨) الفتح ، المجلد ١٤ ، العدد ٦٦٦ ، ٢٤ جمادى الاخرة ١٣٥٨هـ ، ص ٣٨٠ .

(٥٩) تجزئة سورية الى أربع دويلات ، وسنجق الاسكندرونة .

(٦٠) انظر فاتحة السنة الاولى لمجلة **الزهراء** بقلم محب الدين الخطيب ،١٥محرم سنة ١٣٤٣هـ.

(٦١) **الزهراء** م٢ ج١٠ ، شوال ١٣٤٤هـ ، ص٥٩٥.

(٦٢) **الزهراء** م٢ ج١٠ ، شوال ١٣٤٤هـ ، ص٥٩٤.

(٦٣) **الزهراء** ، المصدر السابق .

(٦٤) **الزهراء** مجلد ٤ ، جزء ٤ ، جمادى الثانية ١٣٤٦هـ ، ص ١٩٤ .

(٦٥) مجلة **المسلمون** م٩ ، ع٦ ، ذو الحجة ١٣٨٤هـ ص٥٨٢ .

(٦٦) **الفتح** م٦ ، ع٢٦٢ ، ٢٢ ربيع أول ١٣٥٠هـ، ص ١٧٨ .

(٦٧) **الفتح** ، فاتحة السنة الخامسة م٥ ،ع٢٠١، ١ محرم سنة ١٣٤٩ هـ ، ص٢ وما بعدها .

(٦٨) يرى الزائر لمكتبة الخطيب في القاهرة ملفات متعددة ، بينها ملفات جريدة الفتح ، ومنها ملفات للاشخاص ، وملفات للاقطار الاسلامية ، وملفات فكرية بعضها يتعلق بالفرق الاسلامية، أو ترجمة القرآن ، وأوراق تبحث في الانساب ملصقة بشكل طولي ويبلغ طول بعضها ١٠ أو ١٥ م راجع « أوراق محب الدين الخطيب »، مرجع سبق ذكره (حاشية ٣) .

(٦٩) **الفتح** ، « تهويد فلسطين » م٨ ، ع٣٦١ ،١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ص ٢٠٥ .

(٧٠) كان عبد العزيز فهمي قد تقدم الى مجمع اللغة العربية في مصر لكتابة العربية بالحروف اللاتينية وقد ووجهت هذه القضية بحملة شديدة كتب حولها محب الدين الخطيب والشيخ أحمد محمد شاكر وغيرهما من كتاب « الفتح » .

(٧١) **الفتح** ، المجلد السادس عشر ١٩٤١ ـ ١٩٤٢.

(٧٢) **الازهر** ، « بناء كياننا النفسي » بقلم محب الدين الخطيب ، م٢٦ ، عددا ، ١٣٧٤هـ ، ص ٥

مجلة الازهر : اختارت مشيخة الازهر ،محب الدين الخطيب لتحرير مجلتها العلمية مجلة الازهر ،فنشر فيها روحا جديدة«تصل العربي المسلم بأحداث حاضره » وجعلها من أشهر المجلات الموثوقة الصادقة بمواردها ومصادرها، وقد استلم تحريرها من سنة ١٩٥٢ ـ ٥٣ الى ١٩٥٨ .

(٧٣) **الازهر** م٢٦ عدد٧ ص ٤٠٣ ، ١٣٧٤ هـ .
(٧٤) **الازهر** م٢٥ عدد ٢ ص ١٥٧ ، ١٣٧٣هـ ،مقالة لمحب الدين الخطيب بعنوان « السيرة النبوية».
(٧٥) **الازهر** « الثقافة الاجنبية والاستعمار العقلي» م٢٧ سنة ١٣٧٥هـ .
(٧٦) **الازهر** ، المصدر السابق .
(٧٧) راجع انور الجندي ، **الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها الى الحرب العالمية الثانية**، مطبعة الرسالة ١٩٦٢ .
(٧٨) راجع مجلة الازهر ، محب الدين الخطيب « وسائل وغايات »م٢٥ عدده ص ٥١٦ سنة ١٣٧٣هـ
(٧٩) **مجلة الازهر** محب الدين الخطيب « معدن العروبة ومكانة العرب » م٢٩ عدد ١٠ ، ١٢٧٧ هـ ص ٨٨٤ .
(٨٠) **الازهر** م٣٠ عدد ٦ ، ١٣٨٣هـ ، ص ٤٧٨ .
(٨١) لقد أصدرت مجلة التمدن الاسلامي عددا خاصا بمناسبة وفاته أواخر سنة ١٩٦٩ كتب فيه عدد كبير من مفكري العروبة والاسلام .

